

## معجزة القرآن

نرجو من فضيلتكم إلقاء بعض الضوء على آيات الإعجاز فى القرآن ؟

**السؤال :**

**الجواب :** لقد تحدى القرآن العرب بالإعجاز فى اللغة .. طلب أن يأتوا بمثل القرآن .. ثم زاد فى التحدى وقال بسورة من مثله . ولكن التحدى للعالم لا يمكن أن يكون باللغة .. فاللغات مختلفة .. إذن بماذا تحداهم ؟ بالعلم .. وكان التحدى مطلقاً إلى يوم الدين .. قال أنتم جميعاً لن تستطيعوا أن تخلقوا شيئاً حتى نهاية العالم .. ثم تحداهم بخلق ماذا ؟! بخلق كون كالذى خلقه ؟ لا .. بخلق مجموعة شمسية من عشرات المجموعات الشمسية الموجودة فى الكون ؟ لا .. بخلق شمس أو قمر أو نجم ؟ لا .. إذن تحداهم بخلق الكرة الأرضية مثلاً ؟ أبداً .. لا بد أنه تحداهم بخلق الإنسان .. أبداً .

لقد تحداهم أن يخلقوا ذباباً .. وكأنه يقول : إننى أنا الله أقول لكم سأعطيكم من العلم .. وأريكم آياتى فى الآفاق .. ولكنكم لن تخلقوا ذبابة ولو اجتمع لذلك كل علماء الأرض فى كل العصور .. وهكذا تحدى الله البشرية كلها إلى يوم الدين بأن يخلقوا ذبابة .. وقال : إن العلم الذى ستعبدونه من دون الله .. والذى ستؤمنون به .. هذا العلم وكل القائمين عليه لن يستطيعوا أن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا .

﴿ إِنَّكَ الْدِّينُ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] وأضاف : ﴿ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ ﴾ [الحج : ٧٤] ، والعجيب أن الإنسان قد وصل إلى القمر .. وقد يصل إلى المريخ .. وقد يستكشف أبعد من ذلك .. ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح ذبابة حتى الآن .. وهو طلب ضعيف جداً بالنسبة

لقدره الله سبحانه وتعالى في خلق ملايين الكائنات ولذلك قال الله : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

ثم أضاف سبحانه وتعالى : ﴿ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ ﴾ أي أن قدرة الله سبحانه وتعالى تفوق كل الحدود والتصورات التي قد ترد على خواطركم وأنتم لا تعرفون قدرة الله . . ثم تحدى الله بعد ذلك في قرآنه . . تحدى باستمرار الحياة ، الماء الذي خلق منه كل شيء حتى . . قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الواقعة] . وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا الْغَيْثَ ﴾ [لقمان : ٣٤] . أي أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يرسل إليكم الأمطار . . والماء يأتي مدرارًا ليسقي الدنيا كلها . . البشر والطيور والوحوش والزرع وكل شيء حتى . . هذا الماء الذي تعب منه البشرية كلها عبًا . . نجد الإنسان عاجزًا عن أن يصنع نهرًا . . مع أن عناصر تكوين الماء موجودة في الكون . . أمام العلماء . . والمساحات الشاسعة من الصحارى في الأرض محتاجة إلى قطرة ماء .

ثم تحدى الله سبحانه وتعالى بعد ذلك . . تحدانا بأن نهرب من الموت . . قال : ﴿ إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] أي أن الله سبحانه وتعالى يتحدى . . مهما وصلتم إلى العلم . . فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت . . إنكم تقولون في العلم الأرضي : إن الموت يحدث بسبب جراثيم كذا وأمراض كذا إلى آخره . . حسنًا . . شيدوا برجًا وضعوا فيه إنسانًا . . وأبعدوا عنه كل المخاطر التي في رأيكم وفي نظركم وفي علمكم تسبب الموت . . فلا هو يحارب ولا يمشي في أي مكان ليصاب في حادث فلا يستنشق هواءً ملوثًا بل يستنشق هواءً نقيًا . . ويأكل من طعام مطهو على أحدث الوسائل الصحية . . ويشرب من ماء ليس فيه جرثومة واحدة . . والجو الذي يعيش فيه منقّى إلى آخر درجات العلم . . هنا نكون قد أبعدنا عن هذا الإنسان كل مسببات الموت التي نعرفها . . ومع ذلك هل يمكن أن يكتب لإنسان مثل هذا الخلود رغم أننا منعنا عنه كل الأسباب الظاهرية للموت ؟ الجواب طبعًا مستحيل . . لأن الله هو الذي يحيى ويميت . . والأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الله .

ثم تحدى الله العالم كله فى القرآن بخمس مغيبات :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ .

تحدى الله بهذه المغيبات - تحدى البشر جميعاً - فكأن القرآن كما تحدى العرب فى اللغة عندما نزل .. حمل تحديات للعالم أجمع .. وقال لهم : إنكم لن تصلوا إلى كذا وكذا إلى آخره .. عشرات التحديات التى ساقها القرآن للبشرية جميعاً . قال لن تصلوا إلى كذا .. لن تفعلوا كذا لن تخلقوا كذا .. وكانت هذه التحديات لكل البشرية ولكل العصور .



## الرد على المستشرقين

### السؤال :

يزعم بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم من المستغربين بأن القرآن الكريم فيه آيات تعارض بعضها البعض وضربوا لذلك مثلاً بقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ وقالوا : كيف يحرم الإسلام الخمر ويذكر في آخر الآية : ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ ولم تحرم الخمر في الآية الكريمة ؟

**الجواب :** المتأمل للأسلوب القرآني العظيم يجد أنه في هذه المسألة يراعى ظروف النفس الإنسانية بمعنى : أنه يأخذ التغيير على مراحل ففي البداية يقول القرآن عن الخمر : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل : ٦٧] .

ساعة سمع بعض الصحابة هذه الآية قال : والله لكأن الله يدخر للخمر شيئاً .. فهمها بملكة اللغة والفراصة عده ؛ لأن الله وصف الرزق بالحسن وترك السكر بدون وصف فكانه ليس حسناً .

ثم قال الحق سبحانه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

وهذا الكلام جاء كنصيحة وليس تشريعاً . فبين أن ضرر الخمر والميسر أكبر من نفعهما ، واستمر الناس بعد ذلك يشربون الخمر .

وذات مرة كان واحد من المسلمين يصلي وهو مخمور فأخطأ في قراءة القرآن وقال : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿ ﴾ [الكافرون] . فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنزل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء : ٤٣] .

ومعروف أن الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة ، وحتى يصلى

المسلم لابد أن يكون غير مخمور ، وبذلك قلت فرصة الشراب وطالت مدة الامتناع . وتطويل مدة الامتناع يعطى إلفاً بالترك .

وبعد ذلك إذا حدث شرب من بعض المسلمين كانت تحدث مشاكل ؛ لأن المخمورين يضرب بعضهم بعضاً وتسيل دماؤهم ، وبذلك ضاق الناس من الخمر وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يبين لهم فى الخمر بياناً شافياً فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْمِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْآزَالَةُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠] .

فكان علاج الإسلام لهذه العادة السيئة التى تملك قلوب العرب قبل الإسلام علاجاً تدريجياً ، فبالله عليكم لو نزل القرآن جملة واحدة كما أراد المشركون كيف كان يمكن معالجة مثل هذه العادة السيئة ؟!

فكان الله سبحانه أراد أن يجعل مشاركة من المنفعل بآيات القرآن والذي يصر على أن ينفذه حتى أن المسلمين كانوا يسألون عن أشياء لم يكن نزل فيها تشريع لأن طبيعتهم الصافية وفطرتهم النقية كانت تدفعهم إلى السؤال عن هذه الأشياء حتى يحتاطوا لأنفسهم من الوقوع فى أقل شبهة .

ولذلك ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تبين هذه الأسئلة . . يسألونك عن كذا وعن كذا ، ويأتى الرد عليها من الحق سبحانه ، قل : كذا ، وقل : كذا وكذا<sup>(١)</sup> .

(١) ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَمْثَلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَيُدْرِكُهُمْ قَبُولُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ الْأَعْرَابِ قُلْ فِيهِ قُلُوبٌ كَثِيرَةٌ ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَغْفُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ [المائدة : ٤] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّسَاءِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا بَدَنُكُمْ عَنِ النَّسَاءِ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

﴿ يَسْأَلُونَكَ كَانَتْ حَتَّىٰ قُلُوبُهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .



- ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ١] .  
 ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] .  
 ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْقَرْيَتَيْنِ قُلِ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف : ٨٣] .  
 ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ النَّبَالِ فَقُلِ يَلْسَمُهَا رَبِّي لَسَفًا ﴾ [طه : ١٠٥] .  
 ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [النازعات : ٤٢] .

## الآيات الشافية فى القرآن

ما هى الآيات الشافية فى القرآن الكريم ؟

**السؤال :**

**الجواب :** إن هذه الآيات تجتمع فى كل آية فيها كلمة شفاء ، وتقرأ بترتيب المصحف ، فقد قال العلماء : إن فى هذا استعانة بكلام الله على الشفاء ، وخصوصاً فى الأمراض التى لا تقدر عليها أسباب البشر . وبالرجوع إلى كتاب الله تعالى تجد أن الآيات التى جاءت فيها كلمة شفاء هى :

- ١ - ﴿ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَصْفُرُّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٤]
  - ٢ - ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠]
  - ٣ - ﴿ فَذُجَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس : ٥٧]
  - ٤ - ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ [النحل : ٦٩]
  - ٥ - ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُو شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢]
  - ٦ - ﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَا وَعَرْشِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [فصلت : ٤٤]
- وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفينا جميعاً .



## القرآن .. علاج لأمراض الأمم

يقول إن القرآن الكريم فيه علاج لكل مشاكل المجتمعات والأمم ؛ كيف ؟

**السؤال :**

**الجواب :** إنك فى كثير من الأحيان تقاوم منهج الله ؛ لأنه يحد من حركتك فى الحياة التى تعتقد أنك لو تمتعت بالحركة فيها على حساب هواك وما تريده لفسد العالم كله .. والمنهج فى الإسلام مُوحى به من الله سبحانه وتعالى ، وهو محفوظ من الله ، أى : أن الحق سبحانه وتعالى هو الذى يحفظه ، والقرآن معجزة ، ومنهج الإعجاز فيه أنه ليس للبشر فيه مكان ، فهو كلام الله ، محفوظ من الله سبحانه وتعالى إلى يوم القيامة ، والإعجاز فيه أن يعطى عطاء لكل جيل ، يختلف عن الجيل الذى قبله ، والإعجاز فيه أنه صالح لكل زمان ومكان ، والإعجاز فيه أنه يداوى أمراض المجتمعات أينما كانت .. معنى هذا أن مجرد القول بهذا الكلام يفسر لنا معجزة كبيرة فى القرآن الكريم . فالرسالات جاءت وقد نزلت لتعالج داءات المجتمع ، كل رسالة نزلت إلى قوم تعالج الداءات ، والانحرافات الموجودة فيهم .





## الشفاء المعنوي والعضوي

### السؤال :

قال تعالى : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ وقال أيضاً : ﴿ وَشِفَاءً لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ فهل المقصود بذلك الشفاء المعنوي ، أم الشفاء العضوي ؟

**الجواب :** لا تضيق واسعاً .. إن الجهاز البشري لا يزال مجهولاً للناس .. لا يعرفون منه إلا الأجهزة الواضحة الظاهرة ، كالجهاز الهضمي مثلاً ، الجهاز التنفسي ، البولي ، التناسلي ، ثم يكتشفون كل يوم جديداً .. ولعل غدة بسيطة مثل « حبة العدس » تقع في قاع المخ في الجمجمة ، تدير عجلة الجسم لا يعرف عنها الكثيرون شيئاً !!



## قدسية القرآن

ما الحكم فيمن يلف البضائع في ورق مكتوب فيه آيات من القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، أو أسماء الله تعالى ؟

**السؤال :**

**الجواب :** أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن ، وتنزيهه وصيانيته . وعلى هذا يحرم جعل الأوراق التي فيها شيء من القرآن أو الحديث غلافًا يستخدم من قبل الباعة ؛ أو يمتهن بأن يلقى في الأرض فيطؤه الناس بغير علم .

والجدير بالمسلم أن يتجنب فعل شيء فيه مساس بقدسية كتاب الله سبحانه أو أي اسم من أسمائه تعالى ، حتى يكون إيمانه بالقول والعمل .  
وجدير بالذكر أن أي ورق يكتب فيه آيات من القرآن الكريم تكون له قدسية واحترام القرآن ، وأنه أخذ هذه القدسية مما كتب فيه لا من كونه ورقا ، والمسلم الذي يعلم ذلك ثم يعتمد بيع أوراق المصحف والمجلات والكتب التي تحتوي على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم للباعة لاستخدامها كمغلف لبضاعتهم أو يلقوها في الأرض يخشى على إيمانه نسأل الله أن يتوب عليه ويبصره بفداحة ما يعمل ؛ أما الجاهل فيعلم .



## هل لغة القرآن العربية لفظيا هي كلام الله

هل القرآن المكتوب فى المصحف حاليا بين أيدينا هو كلام الله سبحانه وتعالى ؟

**السؤال :**

**الجواب :** إن القرآن المكتوب فى المصحف برسمه وهيئته من الله سبحانه وتعالى باللغة نفسها . قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الأخلاص : ١] .

إذا أنت استقبلت ممن يأمرك وهو عال عنك كلمة قل كذا ، فإنه يكفيك أن تقول مقول القول فقط .

فالمبلغ عليه تبليغ مقول القول ، وليس القول جميعه . . لكن أسلوب القرآن غير هذا ، يقول : ﴿ قُلْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ [الكافرون : ١] . فكأن الرسول لا تصرف له فى شيء مطلقاً فى هذه الرسالة ، لا لوم عليه ؛ لأنه مستقبل هذا الكلام من الله .



## التفسير العلمى للقرآن

ما هو رأى فضيلتكم فى منهج التفسير العلمى للقرآن ؟

**السؤال :**

**الجواب :** إن الله سبحانه وتعالى شرع لنا من التكاليف ما يختلف فيه الأهواء ؛ ليعصمنا من صراعات هذه الأهواء ، أما الأمور العلمية التى تخضع للتجارب المعملية المادية ، فالكل متفق عليها ، المادة صماء لا تجامل باحثاً أبداً ، الغاية التى ينتهى إليها كل باحث يدخل معمله أمام المادة بدون هوى تلتقى مع ما يذهب إليه نظره أيضاً إذا دخل معمله أمام المادة وله هوى ؛ لأن المادة صماء لا تجامل أحداً .

وإذا نظرنا إلى المسائل المادية وجدنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع فى ذلك حداً للمسلمين ، وحداً واضحاً . . وجعل نفسه مقياس هذه التجربة ، ما هي التجربة العلمية أولاً ؟

التجربة العلمية تنشأ من ملاحظة ظاهرة فى الكون . ثم لا تمر هذه الملاحظة مروراً عابراً بل تقف موقف التأمل ، ولا تقف موقف التأمل لتستمع فقط ، بل لتنتفع ؛ أى أن تأخذ من الظاهرة شيئاً يفيدها فى تصعيد إسعاد حياتها ، والقرآن حينما يعرض هذه المسألة الكونية يقول : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِن آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٥] .

إذن فالآيات فى السموات والأرض يطلب منا الله سبحانه وتعالى أن ننظر إليها نظرة متأنية متأملة وليست نظرة عابرة ، وأن نتفحصها لنستهدى بواسطتها . تلك هي الملاحظة والتجربة .

الأمر المادى لا يختلف فيه الأهواء أبداً ، ومعنى ذلك أن النتيجة التى تنتهى إليها تكون واحدة ، وسبق أن قلنا : إنه لا توجد كهرباء روسى ولا كهرباء أمريكى ، ولا توجد كيمياء بريطانى وكيمياء ألمانى .

كل ما انتهى إليه من القضايا العلمية التجريبية الناشئة من المعمل ،  
وباتت أمورا متفقا عليها بالقطع هي مفيدة في فهم القرآن وتدبر آياته ؛ وتزيد  
المؤمن إيمانا ، فالعلم لا يتعارض مع القرآن ، شريطة أن يكون علما معمليا  
تجريبيا ؛ لا مجرد نظريات أو أقوال مزعومة تنسب لهذا أو لذاك بدون دليل  
معملي يوثقها .

أما الذين يغالون في ذلك ويأخذونها دليلا على صحة القرآن بزعمهم  
فتقول هنا : لا . . هذا خطأ فنحن بحمد الله تعالى مؤمنون بالقرآن الكريم  
كلام الله تعالى موحى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيما لا عوج  
فيه ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، محفوظا بحفظ الله تعالى  
له ؛ لا زيادة فيه ولا نقصان إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .



## نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا

### السؤال :

لماذا نسب الله سبحانه وتعالى نزول القرآن إلى ذاته المقدسة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ تارة ، والنزول إلى جبريل كما في قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴾ تارة أخرى ؟

**الجواب :** إن مادة أنزل لم تسند إلا لله سبحانه وتعالى . . فقول الله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] . . أي أخرجناه من اللوح المحفوظ من عالم الغيب الذي كان مستورا فيه دفعة واحدة ليباشر مهمته في الوجود وبعد ذلك من الجائز أن يكون أول نجم فيه قد نزل في هذه الليلة المباركة .

والذي يجب أن نفهمه أن الله تعالى حين نسب القرآن إلى ذاته ، والنزول به إلى جبريل ، فهذا معناه أن جبريل حمله كما هو ، كما أنزله الله من اللوح المحفوظ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يجر فيه أي تعديل أو تبديل بل هو كما أنزله الله سبحانه وتعالى .

إذن ليلة القدر . . الليلة التي نزل فيها الله تعالى القرآن ليباشر مهمته في الوجود أنزله إلى السماء الدنيا يأخذ منه جبريل بإذنه سبحانه لينزله على محمد صلى الله عليه وسلم .

لقد كان القرآن الكريم إلى أن أخذه جبريل في طي غيب الله . وبعد ذلك حين أوصله جبريل إلى رسول الله كان في طي الغيب عنا .

فقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ يدل على أن معنى الإنزال ابتداء مباشرة القرآن مهمته في الوجود **بافعل ولا تفعل** .

وذلك بأن ينزله الله دفعة واحدة إلى السماء الدنيا ثم ينزل به جبريل بعد ذلك منجماً حسب الحوادث <sup>(١)</sup> .



(١) روى الحاكم في المستدرک [٢٨٧٨ / ٧] عن ابن عباس رضی اللہ تعالیٰ عنہما فی قوله : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ قال : أنزل القرآن جملة واحدة فی ليلة القدر إلى السماء الدنيا وكان بموقع النجوم وكان اللہ ينزله علی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم بعضه فی أثر بعض قال : وقالوا : ﴿ **لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

وقال الحاكم : حديث صحيح علی شرطہما ولم یخرجاه .  
وقال الذهبي فی التلخیص : علی شرط البخاری ومسلم .

## مشروعية التسمية

### السؤال :

اللَّهُ سبحانه وتعالى أمرنا بالاستعانة باسمه في كل أمر من أمور الدنيا .. فأيات كتابه الكريم تبدأ بقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . وسنة التكبير على الأنعام بـ : « باسم الله .. الله أكبر » . وبداية كل عمل بـ « باسم الله » فلماذا ؟

**الجواب :** لأن جميع النعم مسخرة لنا ، أى : إنها ليست خاضعة لقدراتنا وهناك آيات فى الكون هى أكبر من قدرة وقوة الإنسان بملايين المرات ، كالشمس مثلاً ، إن اقتربت قليلاً من الأرض أحرقتها ، وإن ابتعدت عنها قليلاً حولتها إلى كتلة جليد .

ولكن هل الشمس تستطيع ذلك من تلقاء نفسها ؟ أم أنها خاضعة لله سبحانه وتعالى الذى سخرها لخدمة البشر ؟

بالقطع هى خاضعة لقدرة الله ، فهى تعطى الدفء ، وتخدم الحياة على الأرض بقدرة الله لا بقدرة الإنسان ، فالإنسان لا يمسك بها مثلاً فى مكانها بحيث لا تتزحزح عنه ، كما أن قدرة الإنسان ليست هى التى تحفظ المسافة بين الأرض والشمس .

إذن .. الإنسان ينتفع بقدرة الشمس بتسخير الله سبحانه وتعالى للشمس ، لتكون فى خدمة البشر . وهكذا آيات الله الكبرى .

فإذا أنت استعنت باسم الله ، فإنك تكون قد وضعت قدرة الله سبحانه وتعالى بجانبك وبذلك يكون كل شئ فى الأرض فى خدمتك ، يستجيب لك ويعطيك أحسن الثمار ، سواء أكان ذلك سعيًا للرزق ، أم طلبًا للشفاء أو استعاذة من عدو أو طلبًا للعون فى مسألة وصلت فيها إلى طريق مسدود <sup>(١)</sup> .

(١) عن ابن عباس قال : كُنْتُ خَلَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَقَالَ : « يَا غُلَامُ ، =



إذن . . فأنت حينما تبدأ عملك مستعيناً بخالق هذا الكون ، وموجد

= احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، وإذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ ، وإذا استعنتَ فاستعنْ بِاللَّهِ <sup>(١)</sup> . رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

قال الصنعانى فى سبل السلام شرح بلوغ المرام : « يا غلام احفظ الله جواب الأمر » تجده « مثله » تجاهك « فى القاموس وتجاهك مثلين تلقاء وجهك ، « وإذا سألت » حاجة من حوائج الدارين ، « فاسأل الله » فإن بيده أمورهما ، « وإذا استعنت فاستعن بالله » رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، وتماه : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف » ، وأخرجه أحمد عن ابن عباس بإسناد حسن بلفظ : « كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلت : بلى . قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله تعالى لم يقدوا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً <sup>(٢)</sup> . وله ألفاظ أخر وهو حديث جليل أفرد به بعض علماء الحنابلة بتصنيف مفرد فإنه اشتمل على وصايا جلية . والمراد من قوله : « احفظ الله » أي حدوده وعهوده وأوامره ونواهيه . وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتنال ، وعند نواهيه بالاجتناب ، وعند حدوده أن لا يتجاوزها ولا يتعدى ما أمر به إلى ما نهى عنه ، فيدخل فى ذلك فعل الواجبات كلها وترك المنهيات كلها .

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُحْفِظُونَ لِدُورِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١٢]

وقال : ﴿ هَذَا مَا نُعْذِرُ لِكُلِّ آوَابٍ حَمِيطٍ ﴾ [سورة ق : ٣٢] فسر العلماء الحفيظ بالحافظ لأوامر الله ، وفسر بالحفظ لذنوبه حتى يرجع منها فأمره صلى الله عليه وسلم بحفظ الله يدخل فيه كل ما ذكر وتفصيلها واسعة .

وقوله : « تجده أمامك » وفى اللفظ الآخر « يحفظك » ، والمعنى متقارب أي تجده أمامك بالحفظ لك من شرور الدارين جزاء وفاقاً من باب : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] يحفظه فى دنياه عن غشيان الذنوب وعن كل أمر مرهوب ويحفظ ذريته من بعده كما قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف : ٨٢] .

وقوله : « فاسأل الله » أمر بإفراد الله عز وجل بالسؤال وإنزال الحاجات به وحده ، وأخرج =

(١) رواه الترمذى [٢٥١٦] وقال الألبانى : صحيح .

(٢) رواه أحمد فى المسند [٢٩٣/١] وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح ، وقال الأرناؤوط : إسناده قوى .

كل شيء ، فإنك في هذه الحالة تكون معتمداً على الله سبحانه وتعالى .

= الترمذى مرفوعاً « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل » <sup>(١)</sup> وفيه من حديث أبي هريرة مرفوعاً « من لا يسأل الله يغضب عليه » <sup>(٢)</sup> وفيه « إن الله يحب الملحين في الدعاء » <sup>(٣)</sup> وفي حديث آخر : « يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع » <sup>(٤)</sup> .

وقوله : « إذا استعنت فاستعن بالله » مأخوذ من قوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَسْتَعِينُ ﴾ أي نفردك بالاستعانة . أمره صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن يستعين بالله وحده في كل أموره ، أي : إفراده بالاستعانة على ما يريد في إفراده تعالى بالاستعانة فائدتان :  
فالأولى : أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في الطاعات .  
والثانية : أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله فهو المخذول .

وفي الحديث الصحيح « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » <sup>(٥)</sup> وعلم صلى الله عليه وآله وسلم العباد أن يقولوا في خطبة الحاجة : « الحمد لله نستعينه » <sup>(٦)</sup> وعلم معاذاً أن يقول دبر الصلاة : « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » <sup>(٧)</sup> فالعبد أحوج شيء إلى مولاه في طلب إعانته على فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات . قال يعقوب صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم في الصبر على المقدور : ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] .

وما ذكر من هذه الوصايا النبوية لا ينافي القيام بالأسباب ، فإنها من جملة سؤال الله والاستعانة به ، فإن من طلب رزقه بسبب من أسباب المعاش المأذون فيها رزق من جهته فهو منه تعالى ، وإن حرم فهو لمصلحة لا يعلمها ولو كشف الغطاء لعلم أن الحرمان خير من العطاء ، والكسب الممدوح المأجور فاعله عليه هو ما كان لطلب الكفاية له ولمن يعوله ، أو الزائد على ذلك إذا كان يعذه لقرض محتاج أو صلة رحم أو إعانة طالب علم أو =

(١) رواه الترمذى [٢٥٧١] عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقال الألبانى : ضعيف ، والطبرانى فى الكبير [١٠٠٨٨/١٠١/١٠] .

(٢) رواه الترمذى [٣٣٧٣] بلفظ : « من لم يسأل ... » وقال الألبانى : حسن .

(٣) رواه القضاعى فى مسند الشهاب [١٠٦٩/١٤٥/٢] عن عائشة رضى الله عنها .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه [٨٩٤] وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ورجاله ثقات رجال الشيخين وأبو يعلى فى مسنده [٣٤٠٣/١٣٠/٦] .

(٥) رواه مسلم [٣٤/٢٦٦٤] ، وابن ماجه [٧٩] ، والنسائى فى الكبرى [١٠٤٦١/١٦٠/٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

(٦) رواه النسائى فى المجتبى [١٤٠٤/١٠٥/٣] وقال الألبانى : صحيح ، والحاكم فى المستدرک [٢/

١٩٩] وأبو داود الطيالسى فى مسنده [٣٣٨] عن ابن مسعود رضى الله عنه .

(٧) رواه أحمد فى المسند [٢٤٤/٥] وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح .

فإذا أصابك خير فهو من الله . . وإذا منع عنك ثمرة العمل . . أو ما تشتهي من العمل فتلك قدرة الله قد منع بها عنك شراً لا تعرفه ، أو أزاح عنك ضيقاً كنت تعتقد أنه خير . وتقبل عليه غير مدرك ما يخفيه الغيب عنك من شرور (١) .

= نحوه من وجوه الخير لا لغير ذلك ، فإنه يكون من الاشتغال بالدنيا وفتح باب محبتها الذى هو رأس كل خطيئة .

(١) قال الله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَمُولًا ﴾ . قال ابن جرير الطبرى : يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم ، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشَّرِّ ، فيقول : اللهم أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه ، كدعائه بالخير : يقول : كدعائه ربه بأن يهب له العافية ، ويرزقه السلامة فى نفسه وماله وولده ، يقول : فلو استجيب له فى دعائه على نفسه وماله وولده بالشَّرِّ كما يستجاب له فى الخير هلك ، ولكن الله بفضله لا يستجيب له فى ذلك .

ويقول تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . قال ابن جرير الطبرى : قال ابن عباس : كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا ابن عباس ارض عن الله بما قدر وإن كان خلاف هواك ، فإنه مثبت فى كتاب الله » قلت : يا رسول الله فأين وقد قرأت القرآن ؟ قال : فى قوله : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال القرطبى : قوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ﴾ قيل : ﴿ عَسَى ﴾ : بمعنى قد قاله الأصم . وقيل : هى واجبة . و« عسى » من الله واجبة فى جميع القرآن إلا قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَمْلِكُنَّ أَنْ يَنْبُدَّنَّ عَنْكَ الْإِبْهَامَ ﴾ [التحریم : ٥] . وقال أبو عبيدة : ﴿ عَسَى ﴾ من الله إيجاب ، والمعنى عسى أن تكرهوا ما فى الجهاد من المشقة وهو خير لكم فى أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون ، ومن مات مات شهيدا ، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فى أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم .

قلت - أى : القرطبى : وهذا صحيح لا غبار عليه ، كما اتفق فى بلاد الأندلس ، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار ، فاستولى العدو على البلاد ، وأي بلاد ؟ ! وأسر وقتل وسبى واسترق ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته ! وقال الحسن فى معنى الآية : لا تكرهوا الملمات الواقعة ، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ، ولرب أمر تحبه فيه عطبك ، وأنشد أبو سعيد الضرير :

رب أمر تنقيه      جر أمرًا ترتضيه  
فى المحبوب منه      وبدا المكروه فيه



= وجاء في الحديث الذى رواه الترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه : اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمي ما ينفعني ، وزدني علما . الحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار <sup>(١)</sup> .

قال المناوي في شرح القدير : « اللهم انفعني بما علمتني » بالعمل بمقتضاه خالصاً لوجهك « وعلمي ما ينفعني » لأرتقي منه إلى عمل زائد على ذلك « وزدني علماً » مضافاً إلى ما علمتني وهذه إشارة إلى طلب المزيد في السير والسلوك إلى أن يوصله إلى مخدع الوصال وبه ظهر أن العلم وسيلة للعمل وهما متلازمان ومن ثم قالوا : ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم « الحمد لله على كل حال » من أحوال السراء والضراء وكم يترتب على الضراء من عواقب حميدة ومواهب كريمة يستحق الحمد عليها ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ قال في الحكم : من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذاك لقصور نظره . وقال الغزالي : لا شدة إلا وفي جنبها نعم لله فليلزم الحمد والشكر على تلك النعم المقترنة بها قال عمر رضى الله تعالى عنه : ما ابتليت ببلية إلا كان لله عليّ فيها أربع نعم إذ لم تكن في ديني وإذ لم أحرم الرضا وإذ لم تكن أعظم وإذ رجوت الثواب عليها . وقال إمام الحرمين : شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها لأنها نعم بالحقيقة بدليل أنها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة وأغراض كريمة تتلاشى في جنبها شدائد « وأعوذ بالله من حال أهل النار » <sup>(٢)</sup> في النار وغيرها . قال الطيبي : وما أحسن موقع الحمد في هذا المقام ومعنى المزيد فيه ﴿ لَنْ نَكْثُرَهُ لَا تَرْدُنَاكُمْ ﴾ وموقع الاستعاذة من الحال المضاف إلى النار تلميحاً إلى القطيعة والبعد وهذا الدعاء من جوامع الكلم التي لا مطمح وراءها .

(١) رواه الترمذى [٣٥٩٩] ، وابن ماجه [٢٥١] وقال الألباني : صحيح ، دون الحمد .

(٢) ذكره المتقى الهندي في كنز العمال [٥١٠٢] وعزاه للديلمى عن أنس رضى الله عنه .

## ما سر المثل بالبعوضة

ضرب الله مثلاً بالبعوضة نرجو توضيح هذه الفكرة ؟

**السؤال :**

**الجواب :** يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] .

بعد أن تحدث الحق تبارك وتعالى عن الجنة .. وأعطانا مثلاً يقرب لنا صور النعيم الهائلة التى سينعم بها الإنسان فى الجنة .. أراد أن يوضح لنا المنهج الإيمانى الذى يجب أن يسلكه كل مؤمن .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف كافراً بعبادته .. ولكن الإنسان الذى ارتضى دخول الإيمان بالله جل جلاله قد دخل فى عقد إيمانى مع الله تبارك وتعالى .. وما دام قد دخل فى العقد الإيمانى فإنه يتلقى عن الله منهجه فى الفعل ولا تفعل .. وهذا المنهج عليه أن يطبقه بدون أن يتساءل عن الحكمة فى كل شىء .. ذلك أن الإيمان هو إيمان بالغيب .. فإذا كان الشىء نفسه غائباً عنا فكيف نريد أن نعرف حكمته .

إن حكمة أي تكليف إيمانى هى : أنه صادر من الله سبحانه وتعالى ، وما دام صادراً من الله فهو لم يصدر من مُساوٍ لك كى تناقشه ، ولكنه صادر من إله وجبت عليك له الطاعة ؛ لأنه إله وأنت له عبد .. فيكفى أن الله سبحانه وتعالى قال : افعل حتى نفعل .. ويكفى أنه قال : لا تفعل حتى لا نفعل .

إذن .. الحكمة غائبة عنك ، ولكن صدور الأمر من الله هو الحكمة ، وهو الموجب للطاعة .. فأنا أصلى ؛ لأن الله فرض الصلاة ،

ولا أصلى كنوع من الرياضة .. وأنا أتوضأ ؛ لأن الله تبارك وتعالى أمرنا بالوضوء قبل الصلاة .. ولكننى لا أتوضأ كنوع من النظافة .. وأنا أصوم ؛ لأن الله أمرنى بالصوم .. ولا أصوم كى أشعر بجوع الفقير .. لأنه لو كانت الصلاة رياضة لاستبدلناها بالرياضة فى الملاعب .. ولو أن الوضوء كان نظافة لقمنا بالاستحمام قبل كل صلاة .. ولو أن الصوم لنشعر بالجوع ما وجب على الفقير أن يصوم ؛ لأنه يعرف معنى الجوع .

إذن .. فكل أوامر الله نفعلها ؛ لأن الله شرعها ولا نفعلها لأى شىء آخر وكل ما جاء فى القرآن نستقبله على أنه كلام الله نزل به الأمين جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نستقبله بأى صيغة أخرى .. ذلك هو الإيمان الذى يريد الله منا أن نتمسك به ، وأن يكون هو سلوك حياتنا .

تلك مقدمة كان لابد منها إذا أردنا أن نعرف معنى الآية الكريمة : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَّا قَوْحَهَا** ﴾ وعندما ضرب الله مثلاً بالعوضة .. استقبله الكفار بالمعنى الدنيوى من دون أن يفتنوا للمعنى الحقيقى ، قالوا : كيف يضرب الله مثلاً بالعوضة ذلك المخلوق الضعيف الذى يكفى أن تضربه بأى شىء أو بكفك فيموت ؟ .

لماذا لم يضرب الله تبارك وتعالى مثلاً بالفيل الذى هو ضخمة الجثة شديد القوة ؟

أو لماذا لم يضرب المثل بالأسد الذى هو أقوى من الإنسان وضرب لنا مثلاً بالعوضة فقالوا : ﴿ **مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا** ﴾ ؟

ولم يفتنوا إلى أن هذه البعوضة دقيقة الحجم خلقها معجزة .. لأن فى هذا الحجم الدقيق وضع الله سبحانه وتعالى كل الأجهزة اللازمة لها فى حياتها ، فلها عيان ولها خرطوم دقيق جداً ولكنه يستطيع أن يخرق جلد الإنسان ، ويخرق الأوعية الدموية التى تحت الجلد ليمتص دم الإنسان .

والبعوضة لها أرجل ولها أجنحة ولها دورة تناسلية ولها كل ما يلزم لحياتها كل هذا فى هذا الحجم الدقيق .. كلما دق الشىء احتاج إلى دقة خلق أكبر .

ونحن نشاهد فى حياتنا البشرية أنه مثلاً عندما اخترع الإنسان الساعة كان حجمها ضخماً جداً لدرجة أنها تحتاج إلى مكان كبير ، وكلما تقدمت الحضارة وارتقى الإنسان فى صناعته وحضارته وتقدمه ، أصبح الحجم دقيقاً وصغيراً ، وهكذا أخذت صناعة الساعات تتناهى فى الدقة والحجم ، حتى أصبح من الممكن صنع ساعة فى حجم الخاتم أو أقل ، وعندما بدأ اختراع المذياع أو الراديو كان حجمه كبيراً ، والآن أصبح فى غاية الدقة لدرجة أنك تستطيع أن تضعه فى جيبك أو أقل من ذلك ، وكذا فى كل الصناعات عندما ترتقى يصغر حجمها ؛ لأن ذلك محتاج إلى صناعة ماهر وإلى تقدم علمى .

وهكذا حين ضرب الله مثلاً بالعوضه وما فوقها ، أى : بما هو أقل منها حجماً . . فإنه تبارك وتعالى أراد أن يلفتنا إلى دقة الخلق ، فكلما لطف الشيء وصغر حجمه احتاج إلى الدقة فى الصنع ، ولكن الكفار لم يأخذوا المعنى على هذا النحو وإنما أخذوه بالمعنى الدنيوى البسيط الذى لا يمثل الحقيقة .

فالله سبحانه وتعالى حينما ضرب هذا المثل . . استقبله المؤمنون بأنه كلام الله ، واستقبلوه بمنطق الإيمان بالله ، فصدقوا به سواء فهموه أم لم يفهموه لأن المؤمن يصدق بكل ما جاء من عند الله سواء علم الحكمة أو لم يعلمها ، واقرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَفَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلَّةٍ مُّهِمَّةٍ وَرَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ لَّنَا قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالَّذِي لَنَا مِنَ الشُّعْبَةِ فَيَنْشَغَرُوا لَنَا أَوْ نُرْدُّهُمْ فَيَقُولُوا نَحْنُ نَعْمَلُ خَيْرًا مِنْ أَنفُسِهِمْ وَهُمْ أَغْفِرُونَ ۝ ﴾ [الأعراف] .

إذن . . إن كل مصدق بالقرآن لا يطلب تأويله ولا يطلب معرفة الحكمة من آياته . . ولذلك قال الكافرون : ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۝ ﴾ .

فيأتيهم قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝ ﴾ <sup>(١)</sup> .

(١) قال القرطبي : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ۝ ﴾ قال ابن عباس فى رواية أبي صالح : لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين : يعني ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ۝ ﴾ [البقرة : ١٧] وقوله : ﴿ أَوْ كَمَثَلِ بْنِ السَّمَاءِ ۝ ﴾ [البقرة : ١٩] قالوا : الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال ، فأنزل الله هذه الآية . وفى رواية عطاء عن ابن =

عباس قال: لما ذكر الله آلهة المشركين فقال: ﴿ **وَأَن يَسْلُمَهُمُ الذَّبَابُ سَيْفًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ** ﴾ [الحج: ٧٣] وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، قالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أي شيء يصنع؟ فأنزل الله الآية. وقال الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله الآية.

و «يستحي» أصله يستحيي، عينه ولامه حرفا علة، أعلت اللام منه بأن استثقلت الضمة على الياء فسكنت. واسم الفاعل في هذا: مستحي، والجمع مستحيون ومستحيين. وقرأ ابن محيصن «يستحي» بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة، وروى عن ابن كثير، وهي لغة تميم وبكر بن وائل، نقلت فيها حركة الياء الأولى إلى الحاء فسكنت، ثم استثقلت الضمة على الثانية فسكنت، فحذفت إحداهما للالتقاء، واسم الفاعل مستح، والجمع مستحون ومستحيين. قاله الجوهري. واختلف المتأولون في معنى «يستحي» في هذه الآية فقيل: لا يخشى، ورجحه الطبري، وفي التنزيل:

﴿ **وَتَحْيَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَهُ** ﴾ [الأحزاب: ٣٧] بمعنى تستحي. وقال غيره: لا يترك. وقيل: لا يمتنع. وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفا من موافقة القبيح، وهذا محال على الله تعالى. وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق<sup>(١)</sup>. المعنى لا يأمر بالحياء فيه، ولا يمتنع من ذكره.

وروى ابن جرير الطبري عن الربيع بن أنس، في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَى أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله للدنيا، إن البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمئت ماتت، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن، إذا امتلأوا من الدنيا ربا أخذهم الله عند ذلك. قال: ثم تلا ﴿ **فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية.

وروي عن قتادة قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَى أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ أي: إن الله لا يستحي من الحق أن يذكر منه شيء ما قل منه أو كثر إن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت، قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَى أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا** ﴾

وروي عن قتادة، قال: لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَى أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ وقد ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله في هذه الآية وفي المعنى الذي نزلت فيه مذهبا، غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس. وذلك أن الله جل ذكره أخبر عباده أنه لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما =





= فوقها عقيب أمثال قد تقدمت في هذه السورة ضربها للمنافقين دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها . فلأن يكون هذا القول ، أعني قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا** مَا ﴾ جوابا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال في هذه السورة أحق وأولى من أن يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال في غيرها من السور . فإن قال قائل : إنما أوجب أن يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب من الأمثال في سائر السور ؛ لأن الأمثال التي ضربها الله لهم ولآلئهم في سائر السور أمثال موافقة المعنى ، لما أخبر عنه أنه لا يستحي أن يضربه مثلا ، إذ كان بعضها تمثيلا لآلئهم بالعنكبوت وبعضها تشبيها لها في الضعف والمهانة بالذباب ، وليس ذكر شيء من ذلك بموجود في هذه السورة فيجوز أن يقال : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما فإن ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن قول الله جل ثناؤه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ إنما هو خير منه جل ذكره أنه لا يستحي أن يضرب في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها ابتلاء بذلك عباده واختبارا منه لهم ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به ، إضلالا منه به لقوم وهداية منه به لآخرين .

## اختلاف اللغات والألسنة

### السؤال :

يقول الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم : ﴿ . . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ وهذا يعنى أن الله علم آدم الأسماء كلها بلغة واحدة ولسان واحد ! فلماذا اختلاف الألسنة ؟!

**الجواب :** طلاقة قدرة الله عندما ألهم آدم بسرّه العظيم . . . ألهم الله آدم بـ « كن . . عالمًا بالأسماء » فتعلم آدم الأسماء .  
وعند تلك النقطة يتساءل البعض عن السر فى اختلاف اللغات من مكان إلى آخر . . رغم أن الخالق الأكرم قد علم آدم أسماء المسميات الموجودة فى الكون .

لماذا إذن . . هناك ألوان من اللغات والألسنة ؟

والإجابة هى :

إن تنوع فترات التاريخ ، وتبع انتشار الإنسان على الأرض يجعلنا نجد أن كل مجموعة من اللغات تقترب من بعضها لتكون لغة واحدة ؛ فالفرنسية والإنجليزية والإيطالية مأخوذة عن اللاتينية والعبرية والسريانية ؛ وكلاهما له علاقة باللغة العربية .

بل إن اللهجات التى يتكلم بها العالم العربى تنوع فى اللغة الواحدة - ولو أن العرب استسلموا لمحاولات المستغربين وهم أبناء الأمة العربية الذين تعلموا فى خارجها . وكتبوا لغتهم بالحروف اللاتينية مثلاً لاندثرت اللغة العربية من وطن عربى إلى آخر .

ولو استسلمت الأمة العربية إلى المحاولات الساذجة التى تحاول أن تجعل من اللهجات المحلية فى كل بلد لغة أساسية لتفرقت اللغة العربية وصارت كل لهجة منفصلة عن اللغة الأم ، ولأصبحت تلك اللغات مختلفة تمامًا عن أصولها العربية الفصيحة ، ثم اندثرت اللغة العربية من بلد لآخر .

ويلاحظ الفرد منا أنه إذا سافر إلى أي بلد عربى فقد يتعذر عليه أن يفهم لهجة أهل ذلك البلد .

فمن الصعب مثلاً على المصرى أن يفهم للوهلة الأولى اللهجة العامية الجزائرية .

ولكن عندما ينطق المصرى والجزائرى معاً لغة القرآن الفصيحة فإن التفاهم يكون كاملاً وناصباً .

إن القرآن الكريم قد ربط العرب باللسان الفصيح . ولهذا يكون من السهل على أبناء أمة القرآن أن تفاهم بلغته .

وإذا سأل سائل .. ولماذا لا يكون الكلام فى كل الدول العربية بالفصحى ؟

فإن الإجابة عن هذا التساؤل تمر بفترات الوهن التاريخى الذى مر على العرب خلال القرون السابقة .. فانعزلت الدول عن بعضها ، ومضى كل مجتمع يتناول اللغة كمظهر اجتماعى ، وسقط التفاهم باللغة الناضجة وحل محل تلك اللغة لهجات مختلفة .

ومن فضل الله على المسلمين أن ربط الدين بالقرآن الكريم فصار عاصماً للفتهم الأم من أن تتحول إلى لغات متعددة . وقرأ قول الحق جل وعلا : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُنْكَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] .

وكان الحق تبارك وتعالى يُذكر النبى بحال ومستقبل أمته .. وكيف يعصمهم القرآن من الشتات اللغوى ، وكيف أن القرآن سيظل عاصماً لأمة القرآن من ضياع جذورهم بلغتهم .. لغة القرآن .

وهكذا نجد أن كل النزعات الذاتية فى كل بلد عربى لا تنمو إلى الدرجة التى تنفصل فيها اللهجات لتصبح لها قواعد للنحو والصرف وغير ذلك من ضرورات قيام اللغة المنفصلة عن اللغة الأم ، كما حدث فى اللغة الإنجليزية والفرنسية ، وكما يحدث الآن من انفصال بين اللغة الإنجليزية المستخدمة فى انجلترا واللغة الإنجليزية المستخدمة فى أمريكا ، إن اللغة الإنجليزية فى أمريكا تضع الآن قواعد خاصة بها ، والعجيب أننا فى البلاد

العربية نسمع من حين لآخر بعض الأصوات التى تنادى بالتدوين للعامة . وهذا يعنى نوعاً من الخصومة غير الواعية بالحق الطبيعى للشعوب العربية فى أن تظل لغة القرآن هى اللغة الأولى والسيدة فى العالم العربى . إن خصوم القرآن وخصوم الإسلام يريدون ذلك ، يريدون تحوير اللهجات المحلية لتصبح لغات منفصلة ، وبهذا تنفصل البلاد العربية عن بعضها البعض بحواجز اللغات المختلفة ، هكذا يظن الحاقدون على الإسلام أنهم قادرون على فصل العرب عن لغة القرآن الكريم . إن لغة القرآن تحفظ مقومات أمة العرب فلا عفوية فيها ولا عوج فى النطق .

إن من فضل الله على المسلمين أن نزل بالجزيرة العربية وبلغة العرب . ولهذا فعلياً أن نتنبه إلى أي دعوة لهدم الرباط اللغوى الذى يربط البلاد العربية . يجب أن نتنبه إلى دعوات الهدم التى ترتدى أقنعة غريبة ، كأن يقول واحد :

لماذا لا تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية ؟

إن مثل هذه الدعوة هى إهدار لخصائص اللغة العربية ؛ لغة القرآن الكريم ولغة أمة العرب ، ويقوم بها - كما قلت - هؤلاء المستغربون الذين ينظرون إلى حضارة الغرب على أنها حضارة الإنقاذ من التخلف ! وينسون أو يتناسون أن الحضارة الغربية بكل ما وصلت إليه تطلب الآن الإنقاذ الروحى لنفسها .

هؤلاء المستغربون قد يفوق خطرهم خطر المستشرقين ، فالمستشرق هو أجنبى عنا ننظر إليه بشكوك ، ومحاولة معرفة أبعاد ما تحمله آراؤه ونتحصن ضدها ونهزمها ، أما المستغرب فهو إنسان عربى ذاب فى ثقافة الغرب ، ولأنه عربى ومسلم ، فنحن نأنس له ونستقبل آراءه من دون مناقشة محملة بالشك .

ولذلك لابد لنا أن نتعامل مع هؤلاء المستغربين ، لا أقول بالرفض الكامل ولكن بالمناقشة الجادة التى نحفظ بها روح ثقافة الإسلام ، وبدون أن نهدر أصولنا فى الذوبان فى حضارة الغرب .

إن الإسلام قد دخل بلادًا كثيرة واتسعت آفاق المسلمين ، لكل آفاق العلوم والفنون ، وهضمت ثقافة الإسلام كل تلك الحضارات التي دخلت إليها ، ولم يسمح الإسلام لأحد أن يذيبه في بوتقته ، ولذلك فالحفاظ على لغة القرآن مسئولية كل مسلم ، ومسئولية كل مثقف عربى يريد لأمة الخير ولدينه الرفعة .

